إِذَا سَـايَـرَتْـه بَـايَـنَـتْـهُ وَبَـانَـهَـا
وَشَـانَـتْـهُ فـي عَـيْـنِ الْـبَـصـيـرِ وَزانَـهَـا[١]
فَـأَيْـنَ الَّـتـي لَا تَـأْمَـنُ الْـخَـيْـلُ شَـرَّهَـا
وَشَـرِّي وَلَا تُـعْـطِـي سِـوَايَ أَمَـانَـهَـا[٢]
وَأَيْـنَ الَّـتـي لَا تَـرجِـعُ الـرُّمْـحَ خَـائِـبـاً
إِذَا خَـفَـضَـتْ يُـسْـرَى يَـدَيَّ عِـنَـانَـهَـا[٣]
وَمَـا لِـي ثَـنَـاءٌ لَا أَرَاكَ مَـكَـانَـهُ
فَـهَـلْ لَـكَ نُـعْـمَـى لَا تَـرَانِـي مَـكَـانَـهَـا[٤]

حجّب ذا البحر بحار دونه

مد نهر قويق فأحاط بدار سيف وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال:

[الرجز]

حَـجَّـبَ ذَا الْـبَـحْـرَ بِـحَـارٌ دُونَـهُ
يَـذُمُّـهَـا الـنَّـاسُ وَيَـحْـمَـدُونَـهُ[٥]

= جميلاً بمصاحبة أمه القبيحة، وقد أخذ ذلك المهر سمة الجمال من عمّه الذي يفوق خاله جمالاً، ومن الطبيعي أن يكون الأب جميلاً بحيث يفوق الأم جمالاً.

(١) يتابع الشاعر حديثه عن المهر وأمه مظهراً الفارق بينهما، مبدياً إعجابه بالمهر، إنها لبشاعتها تشينه فَيُسيء الخبير بشؤون الخيل الحكم عليه وإذا نظر إلى المهر أعجبه جماله ممّا يجعله يُضفي عليها حسناً لجماله.

(٢) يُخاطب الشاعر الأمير طالباً منه فرساً يصعب على السائس ترويضها تجمح براكبها، لا يقدر على امتطاء متنها سوى الشاعر، لأنه فارس خبير بإخضاع أمثال تلك الخيول، فتستسلم له وتُسلمه قيادها.

(٣) العنان: سير اللجام. يطلب الشاعر من الأمير فرساً مجربة في الحروب تساير فارسها في الميدان وتُساعده على طعن عدوّه، فإذا بالرمح يخترق جسده، وهو يمسك عنانها بيده اليسرى ويُقاتل بيده اليمنى.

(٤) النعمى: النعمة. يمدح الشاعر الأمير بجوده، إنه جدير بالثناء الحسن الذي يُسبغه على الأمير، وهو يسأله عمّا أسداه إليه من نعمة يحتفظ بها للشاعر ويتذكّرها له.

(٥) حجّب: منع من زيارة الناس له. يقصد الشاعر بالبحر سيف الدولة، يذكر الشاعر ما =

يَـا مَـاءُ هَـلْ حَـسَـدْتَـنَـا مَـعِـيـنَـهُ
أَم اشْـتَـهَـيْـتَ أَنْ تُـرَى قَـرِيـنَـهُ[١]
أمِ انْـتَـجَـعْـتَ لِـلْـغِـنَـى يَـمِـيـنَـهُ
أَمْ زُرْتَـهُ مُـكَـثِّـراً قَـطِـيـنَـهُ[٢]
أَمْ جِـئْـتَـهُ مُـخَـنْـدِقـاً حُـصُـونَـهُ
إنَّ الْـجِـيَـادَ وَالْـقَـنَـا يَـكْـفِـيـنَـهُ[٣]
يَـا رُبَّ لُـجٍّ جُـعِـلَـتْ سَـفِـيـنَـهُ
وَعَـازِبِ الـرَّوْضِ تَـوَفَّـتْ عُـونَـهُ[٤]

= حصل، فقد انهمرت المياه بكثرة ممّا جعلها تحيط بقصر الأمير وتحول دون دخول الناس عليه، فكان أن ذكر ذلك الحدث مادحاً الأمير بأنه بحر يفيض عطاءً وجوداً، وهو مظهر خير، بينما كانت تلك الأمطار سبباً بحجبه عن الناس فحرموا من جوده وكرمه.

(١) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض. يُخاطب الشاعر الماء مستفسراً هل ما كان منه حسداً للأمير من أجل كرمه أم أنه يودّ أن يكون كريماً مثله وفي نفسه رغبة بالاقتداء به؟

(٢) انتجعه: جاء يطلب رفده. القطين: الجماعة من الحشم والأعوان وأهل بيته. يُردف الشاعر كلامه للنهر مستفسراً عن سبب مجيئه ليستمدّ من فضله غِناه، أم أنه قد قصده ليكون من زائريه في مجلسه.

(٣) الخندق: حفير حول المدينة لحمايتها من الأعداء. يُردف الشاعر مستفسراً عمّا إذا كان قصد النهر حماية قصر الأمير، فهو ليس بحاجة إلى ذلك، فوراءه جنود أقوياء أشداء يمتطون الخيول الجرد، ويعملون على حمايته، لذا فهو ليس بحاجة إلى النهر ليخندق حول قصره.

(٤) اللجّ، الواحدة لجّة: الماء العظيم الطامي. السفين، الواحدة سفينة. العازب: البعيد. العون، الواحدة عانة: السرب من حمر الوحش. توفتها: حصلت عليها كاملة. يُشيد الشاعر بإنجازات الأمير، فلطالما خاضت جياده أنهاراً، فكانت تمخرها كالسفن، ولطالما اقتحمت من الأرض ما هو بعيد تلاحق أسراب الحمر الوحشية تصطادها بعد مطاردة شاقّة بسرعة.

وَذِي جُـــنُـــونٍ أذْهَـــبَـــتْ جُـــنُـــونَـــهُ
وَشَـــرْبِ كَـــأْسٍ أَكْـــثَـــرَتْ رَنِـــيـــنَـــهُ[١]
وَأبْـــدَلَـــتْ غِـــنَـــاءَهُ أنِـــيـــنَـــهُ
وَضَـــيْـــغَـــمٍ أوْلَـــجَـــهَـــا عَـــرِيـــنَـــهُ[٢]
وَمَـــلِـــكٍ أوْطَـــأَهَـــا جَـــبِـــيـــنَـــهُ
يـــقُـــودُهَـــا مُـــسَـــهِّـــداً جُـــفُـــونَـــهُ[٣]
مُـــبَـــاشِـــراً بِـــنَـــفْـــسِـــهِ شُـــؤُونَـــهُ
مُـــشَـــرِّفـــاً بِـــطَـــعْـــنِـــهِ طَـــعِـــيـــنَـــهُ[٤]
بَـــحْـــرٌ يـــكُـــونُ كُـــلُّ بَـــحْـــرٍ نُـــونَـــهُ
شَـــمْـــسٌ تَـــمَـــنَّـــى الـــشَّـــمْـــسُ أنْ تَـــكُـــونَـــهُ[٥]

(١) الشرب: جماعة الشاربين، الرنين: الصياح. يُتابع الشاعر مدح الأمير، فلطالما تصدّى لمن غرّه ما عليه من جنون وطغيان وتجبّر، فإذا به يتوجّه إليه ليذيقه وبال أمره ويُذلّه ويُجبره على طاعته، ولطالما عمل الأمير على منع تفشي الرذائل، فإذا به يُوجّه خيله للقضاء وردع شاربي الخمرة، فيُعمل فيهم تقتيلاً وتشريداً ليتوبوا ويرتدعوا، وبذلك يضمن الأمن للرعية.

(٢) الضيغم: من أسماء الأسد. العرين: مأوى الأسد. يُتابع الشاعر مدح الأمير، فإذا بالشرب يتحوّل غناؤهم إلى أنين وعويل وبكاء شديد. ولطالما تصدى الأمير إلى متمرّد معتزّ بمنعته وديارة يعتدّ بقوّته أذلّه بجيشه وقد وطئ دياره وأذاقه الأمرين خراباً وتدميراً.

(٣) يُتابع الشاعر مدحه الأمير فلطالما وجّه جيشه لمحاربة ملك متمرّد لم يُذعن لمشيئته بسرعة قصوى فلم يسمح له بنوم هنيء، فإذا به ينغص عليه نومه ويجعله يعيش بقلق دائم ومن ثم يقضي عليه.

(٤) يُردف الشاعر مدحه الأمير، إنه يُباشر أعماله بنفسه، وهذا من أسباب نجاحه وحسن توفيقه، وهو بطل عظيم، ومن حسن حظ من يُقتل على يديه، ففي ذلك شهادة له بأنه بطل صنديد، لأن الأمير لا يُقاتل الضعفاء والجبناء.
ورد بيت بعد هذا البيت لم يرد في الديوان، وهو التالي:
عَـفِـيـفَ مـا فـي ثَـوْبِـهِ مَـأْمُـونَـهُ أَبـيـضَ مـا فـي تَـاجِـهِ مَـيْـمُـونَـهُ

(٥) النون: الحوت. يُردف الشاعر مدحه للأمير؛ إنه بحر طام يفيض خيراً وجوداً فيبدو =

إِنْ تَـدْعُ يَـا سَـيْـفُ لِـتَـسْـتَـعِـيـنَـهُ
يُـجِـبْـكَ قَـبْـلَ أَنْ تُـتِـمَّ سِـيـنَـهُ(١)
أَدَامَ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ تَـمْـكِـيـنَـهُ
مَـنْ صَـانَ مِـنْـهُـمْ نَـفْـسَـهُ وَدِيـنَـهُ(٢)

الرأي قبل شجاعة الشجعان

يمدحه وأنشده إياها بآمد وكان منصرفاً من بلاد الروم وذلك في شهر صفر سنة خمس وأربعين وثلاث مئة (٩٥٦م):

[الكامل]

الـرَّأْيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةِ الـشُّـجْـعَـانِ
هُـوَ أَوَّلٌ وَهْـيَ الْـمَـحَـلُّ الـثَّـانِـي(٣)
فَـإِذَا هُـمَـا اجْـتَـمَـعَـا لِـنَـفْـسٍ حُـرَّةٍ
بَـلَـغَـتْ مِـنَ الْـعَـلْـيَـاءِ كُـلَّ مَـكَـانِ(٤)

= سواه من الملوك كالحيتان في خضمه العظيم، كما أنه شمس تشمل الكون بضيائها وفيض حبّها وعطائها، حتى إن الشمس الطبيعية تتمنّى أن تكون على شاكلته.

(١) يُنوّه الشاعر بسرعة استجابة سيف الدولة لمن يستنجده في كلّ ملمة نزلت به، فإذا به يلبي دعوة الداعي دون إبطاء، فقبل أن يلفظ المستنجد السين يكون سيف الدولة قد هبّ لنجدته.

(٢) يدعو الشاعر للأمير بدوام ملكه وسيطرته على أعدائه، وذلك برعاية اللّه تعالى له الذي صان له دينه وحفظ عليه نفسه ورعاه وحماه.

(٣) و (٤) المِرّة: القوة والشدّة. يروى «مرّة» بدلاً من «حرّة». ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٨. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع حكمي، مفاده أن العقل هو أهم ما يُميّز البشر عمّا سواهم من كائنات، وهو بلا ريب المحرّك الأول المجدي في حركة بني البشر في معراجهم إلى تحقيق أسمى الغايات، أما الشجاعة فإنها قدر مشترك بين البشر ذوي العقول السليمة وبين سواهم من بني جنسهم وأفراد الحيوانات الضارية، كالأسود وسواها؛ فالشجاعة التي لا تعتمد على العقل هي بمثابة سلاح فتّاك قد يقتل مستعمله الجاهل بطريقة استعماله قبل أن يقتل عدوّه. ولكن في حال اجتماعهما معاً لعاقل يُحسن استعمالهما على الوجه الأكمل والأسلم، فلا بدّ من إدراكه أعلى مراتب الفلاح والتوفيق والنجاح.